المحاظر الشنقيطية تحصين للفرد وتمكين في الأرض
(وقفات مع جهود القوم في تربية الأجيال وتكوين الرجال)

محمذن بن أحمد بن المحبوبي
رئيس شعبة اللغة العربية وآدابها
المعهد العالي للدراسات والبحوث
الإسلامية وعضو مركز الدراسات
الولاتية- نواكشوط - موريتانيا

نود في هذا الجهد أن نوصل للناس القول في تأثير المحاظر ببلاد شنقيط على تحصين الفرد والتمكين له في الأرض حتى تنصرف الأبصار تلقاء أصحاب هذه المنشآت التعليمية التي ترابط في ثغور الجهل والتخلف أكمل رباط وتقعد لجيوش التأورب والاستلاب بكل صراط.

فمن حسنات هذه المحاظر أنهاحفظت للأمة هويتها وخصوصيتها الحضارية، فكانت توفر لأبنائها تكوينا علميا وجسميا ومهنيا وسلوكيا، فالمحظرة بالنسبة للطلاب هي مدرسة العلم والحياة ومعهد المهن والخدمات ومعدن التشبث بالمبادئ والمنطلقات، ومألف التمسك بالثوابت والأولويات، ومكتسب السلوك والأخلاق، ففي حرمها ينهل الطالب من العلم وبأرجائها يتقن أنواع الحرف من طبخ وعجن وخياطة ونسج وخبازة ورعي وسقاية، وبساحتها يكتسب رفيع القيم وكريم الخلال، فكأين من خصلة حميدة لولا المحظرة لضاعت وامحت من المجتمع، وذابت في أتون التمزق والاختلاف.

فبفعل هذه المحاظر تم تحصين المجتمع الشنقيطي من موجات التمرد والانحراف، وهزات التطرف والانجراف، وراء موضات التغرب والاستشراق.

ذلك أن أبناء هذه المحاظر واجهوا بثقافتهم الأصيلة الغزو الثقافي بكل حزم وعزم فحاصروا مخططاته وقعدوا لها بكل مرصد، فلم يتأثروا بثقافته تأثرا يذكر، بل ظلوا يحافظون على نقائهم

اللغوي وتعاليم دينهم الإسلامي وذلك ما هيأهم لأن يمثلوا سفارة علمية عالية في المشرق العربي، ومشيخة متميزة في الغرب الإفريقي.

فماذا عن هذه المحاظر وجهودها في تحصين الفرد ونشر المعارف بمختلف بقاع الأرض؟ ثم ماذا عن قدرتها على الصمود أمام الثقافة الأجنبية؟، وكيف استطاعت أن تعقب في نفوس أبنائها وعيا مرهفا يدفع إلى التحفز والانطلاق، ويحمل على التأهب والاندفاع، إصلاحا للفرد وإسهاما في الإقلاع الحضاري المرتقب.

ذلك ما يسعى هذا الجهد إلى الإجابة عنه في المحاور التالية:

أولا: الموضوع منطلق وتأسيس

وضمن هذا المحور سنعرض لمسألتين أولهما تعنى بمحاورة العنوان واستنطاقه وثانيتهما تهتم بتأصيل الموضوع واستنباته.

أـ العنوان: مناقشة وتحليل

إن عنوان هذا الموضوع يتألف من ثلاثة تركيبات نحوية أولها ابتدائي "المحاظر الشنقيطية" وثانيها خبري "تحصين للفرد" وثالثها عطفي "وتمكين في الأرض".

فالتركيب الأول مفتتح بكلمة "المحاظر" جمع محظرة بالظاء وتنطق بالضاد أحيانا، وهي «جامعة شعبية متنقلة تلقينية فردية التعلم طوعية الممارسة»[1].

وقد وصفها لو كرتوا (**le courtois**) وهو أحد المستكشفين الفرنسيين بأنها: "جامعة شعبية تستقبل كل من يرد عليها من جميع المستويات الثقافية والفئات العمرية والجنسية، والاجتماعية، تستقبل المبتدئ كما تستقبل العالم تجدد له معارفه وتوسعها وتعمقها، ويردها الطفل والشيخ والمرأة والفقير والموسر، يبذل لكل طالب ما يريد من دروب المعرفة حسب مستواه الثقافي وهوايته وطاقته، واستيعابه، وهي لا تسد أبوابها وإن عطلت الدراسة أياما معدودات، بل تستمر في العطاء على مدار السنين، وهي لا ترد طالبا لعدم وجود مقاعد شاغرة ولا تغلق أبوابها لقلة عدد الطلاب المنتسبين"[2].

ووصفت في التقارير الوزارية بأنها: "المؤسسة التي حملت مشعل الحضارة الإسلامية العربية منذ تسعة قرون ونيف ولا زالت تتابع رسالتها"[3]، ومما سبق نخلص إلى أن المحظرة مؤسسة تعليمية مفتوحة يديرها شيخ من أئمة العلم يسهر على مصالحها حسبة لله تعالى وابتغاء مرضاته، في جو من الانضباط والاستقامة في حالي الظعن والإقامة، ويطبع منهجها تطوع متميز وحرية عارمة وتغطية شاملة لمختلف مراحل التعليم، واعتماد أساليب تربوية جادة تجمع الحفظ إلى التلقين والإثارة إلى التشويق، والتربية إلى التوجيه.

وهذه المحاظر موصوفة بـ "الشنقيطية" نسبة إلى شنقيط، وهي مدينة في الشمال الموريتاني، وكانت تطلق في القديم على المجال الجغرافي المعروف اليوم بـ"موريتانيا"، فهي تسمية أطلقها أبناء البلاد العربية على سكان هذه الأرض فقبلوها عن طيب خاطر ورحابة صدر، وصاروا لا يعرفون خارج بلدهم إلا بها، ولعل الأصل في اعتمادها أن مدينة شنقيط كانت منارة العلم ومرتكز التجارة ومنطلق ركب الحجيج، إذ يؤمها من حولها من أهل القرى، فقد أصبحت منذ أواخر القرن العاشر ذات شهرة كبيرة وسيرورة بين الناس، فهذه التسمية تحمل دفء معرفيا وعمقا تاريخيا وبعدا حضاريا، لذلك اعتمدت في عناوين عدد من الكتب والدراسات والبحوث المتعلقة بمعارف البلد وتاريخه الثقافي[4].

ويأتي التركيب الثاني: "تحصين للفرد" مفتتح بكلمة "تحصين" التي هي مصدر حصنه منعه، والحصن بالكسر كل موضع حصين لا يوصل إلى جوفه[5]. وحصن الشيء أحصنه والحيوان والإنسان من المرض اتخذ الحيطة والوقاية منه. وتحصن اتخذ حصنا ووقاية[6]. والفرد يقصد به هنا الإنسان والتمكين مصدر مكن له في الشيء جعل له عليه سلطانا، وفي التنزيل العزيز ﴿إنا مكنا له في الأرض﴾[7]والأرض أحد كواكب المجموعة الشمسية وهو الكوكب الذي نسكنه وفي القرآن الكريم ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض﴾[8] وهي مؤنثة جمعها أرضون وأراض وأروض.

والمقصود من العنوان جملة هو التنبيه إلى جهود المحاظر في توعية أبناء الأمة وحمايتهم من التطرف والتخلف، ليصلحوا أمر دينهم ودنياهم، فكأن المحاظر من هذا المنظور حماية للفرد من الانحراف وتأهيل له وإعداد لكي يشارك بفاعلية في دفع عجلة الطور والإبداع.

بـ الموضوع: مقاربة وتأصيل

وقبل أن نتحدث عن المبادئ العامة التي ظلت تحكم النظام المحظري وتحدد علاقة الشيخ بالتلميذ وتوجه مسار العملية التربوية في هذه المنشآت التعليمية يحسن بنا أن نسوق نصا شعريا يعد بمثابة دستور جامع لمناهج المحظرةوأساليبها في التربية والتدريس، وقد استهل بالدعوة إلى لزوم رحاب هذه الجامعة البدوية المتنقلة، والإقامة بساحتها، مجالسة للأئمة، واستزادة في العلم وطلبا للفضيلة، ومصابرة على التحصيل. وتزودا من التقوى، ودراسة للقرآن والحديث وتفقها في الدين وتمكنا من القريض وتوسعا في اللغة والنحو واقتناصا للنوادر، واكتسابا لشوارد العلوم، وإحياءا لموات القلوب، ووقوفا في وجه عاصفات المد الأجنبي، يقول[9]:

اضرب قبابك في رحاب المحظرة ... حيث المجالس والجموع موقرة

واصبر على تحصيل علمك لا تكن ... جزعا فأسباب الحياة مقدرة

وأطل مقامك بين أربع أهلها ... وشيوخها أهل العقول النيرة

واصبر لنفسك في حماها برهة ... حتى تصير على الفضيلة مجبرة

وتزود التقوى تكن من أهلها ... فالعلم والتقوى عماد المحظرة

وقرأ بها القرآن واضبط رسمه ... وأدم قراءته بها وتدبره

واقرأ بها علم الحديث فإنما ... علم الآحاديث الشريفة مفخرة

واقرأ مهمات المتون جميعها ... وعهامطررة وغير مطررة

واقرأ بها الفقه الصحيح مؤصلا ... واقرأ "كفاف المبتدي" و"المطهرة"

واقرأ بها "نشر البنود" ونصه ... واقرأ بها لمحنض باب "ميسره"

واقرأ بها علم اللغى واقرأ بها ... شعر امرئ القيس الأمير وعنتره

والنحو والصرف الذي منحازه ... أعطى وألحق كل فعل مصدره

واجمع نوادر من شتات العلم في ... كتب الجدود الأقدمين مبعثرة

واختر من الطلاب للتكرار إن ... ترد التعلم نخبة متخيرة

هـا نحـن نسـعى للتشـبث بالـذي ولى وأصـبح نـادرا مـا أنـدره
قـد كـان فينـا العلـم علمـا نافعـا يحـي القلـوب الصـلبة المتحجـرة
حـتى تبـدل واسـتحالت أرضـه جـدبا وأحـوال الـورى متغـيرة
هبـت عليـه عواصـف غربيـة فأماتـه ذلـك الهبـوب وأقـبره

ومن خلال هذا النص ندرك أن القوم بذلوا جهودا مشكورة في نشر المعارف والعلوم تربية للأجيال وتكويناللرجال، وذلك ما سنعرض له في المستويات الآتية.

1ـ التدرج في اكتساب المعارف والعلوم:

وفي إطاره عمل أصحاب المحاظر على التزام التسلسل المنطقي والتدرج المطلوب في التدريس، وذلك مراعاة لنمو الطالب عقليا وجسميا، فكانوا في دراسة الفقه مثلاً ينطلقون من مختصر الأخضري، ليمروا على منظومة ابن عاشر، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، منتهين إلى مختصر خليل وشروحه.

وتجسيداً لهذا المبدأ التربوي نقرأ رجزا لبعض علماء القوم يعتب ضمنه على الطلبة الذين يعنون بمختصر خليل، على حساب الرسالة، مؤكدا أن ما يقومون به يعتبر تنكيسا مخلاً بالعملية التربوية؛ إذ يقدمون ما رتبته التأخير، وذلك ما أوضحه بقوله[10]:

علامـة الجهـل بهـذا الجيـل تـرك الرسـالة إلى خليـل
وتـرك الاخضـري إلى ابـن عاشـر وتـرك ذيـن للرسـالة احـذر
إن خلـيلاً صـار مثـل الشـم يشـمه كـل قليـل الفهـم

وفي هذا السياق ينصحون للطلاب بالتفرغ للمتن الواحد، حتى يستكمل، فليس للتلميذ أن يجمع مع المتن غيره، ولا أن يصرف عنه بصره قبل أن يستوفي دراسته، فهم يرون أن ترادف الفنون يورث الحرمان ويفضي إلى الخلط والإرباك، وربما حد من قدرة الطالب على الاستيعاب، فيبقى مبدد الجهد متنازعاً بين عدة متون تتجاذبه، فلا يكاد يتقن منها واحداً، لذلك يشبه

أشياخ المحظرة ترادف الفنون وازدحامها على الذهن بالتوأمين يستبقان، ولا سبيل إلى خروجهما إلا بالتفاوت، يقول أحدهم[11]:

وإن تـــرد تحصـــيل فـــن تممـــه وعـــن ســـواه قبـــل الانتهـــاء مـــه

وفي تـــرادف الفنـــون المنـــع جـــا إن توأمـــان اســـتبقا لـــن يخرجـــا

2ـ التلبث مع المراجعة والتكرار:

ونقصد به جهود أبناء المحاظر الرامية إلى تكرار المعارف، حتى تنطبع في الذاكرة وتحصل في الصدور، وقد اتبعوا في ذلك طريقة متميزة تنطلق من كتابة النص على اللوح أولا، ثم تصحيحه على الشيخ ثانيا، ليحفظ بعد ذلك حفظا أوليا يسمح بسرده من الذاكرة. ويشفع ذلك بعرض النص على الأستاذ طلبا لإيضاح الغامض وشرحا للمتن جملةجملة، أو بيتا بيتا، وهذه الخطوات متلازمة متعاقبة، ولا يسمح بتجاوز أي واحدة منها إلى الأخرى، لأنها في الحقيقة تعد المعبر الأمثل إلى الحفظ والطريق الأقوم إلى الاستظهار، والأخذ بها على هذه الصيغة معين على التمكن من ناصية العلوم، وكل خرق لها من شأنه أن ينسف عملية الاستذكار من أساسها، وهذا ما أوضحه المرابط محمذن فال بن متالي بقوله[12]:

كتـــب إجـــازة وحفـــظ الرســـم قـــراءة تـــدريس اخـــذ العلـــم

ومـــن يقـــدم رتبـــة عـــن المحـــل مـــن ذي المراتـــب المـــرام لم ينـــل

ولأهمية الحفظ في اكتساب العلوم طفق القوم ينظرون له تنظيراً جاداً، فمن التقاليد المتداولة عندهم لحفظ النص استيفاء ما يعرف بـ "عشرة المختار"، وتعني ترديد الدرس اليومي خمسا وخمسين مرة، ويستعينون على ذلك بنقاط ترسم على أديم الأرض في شكل هرم قاعدته تسع نقاط، وقمته نقطة واحدة، وكلما قرأ الطالب مرة يمحو نقطة، فإذا استوفى حفظ درسه بهذه الطريقة يقولون إنه لن ينساه بعدئذ.

أما حفظ المعاني فيتركز عندهم على ما يعرف بـ "التكرار وقد حضوا عليه كثيرا، ودعوا الطلبة إلى أن يلتزموا به ويعضوا عليه بالنواجذ، مرددين قول الشاعر[13]:

خليلـي لا تكسـل ولا تهمـل الدرسـا ولا تعـط يومـا في بطالتهـا النفسـا
ولا تـترك التكـرار فيمـا حفظتـه فمـن تـرك التكـرار لابـد أن ينسـى

فالتكرار عنصر أساس في الدراسة المحظرية، وعبره يستحضر الطالب كلما صدر عن الشيخ معيدا لفظه المرة بعد المرة، مجردا من نفسه مخاطبا يحاوره ويقرأ عليه المحفوظ جهرا، فالتكرار عندهم حصة مراجعة واستذكار، بفضلها يكتمل الاستظهار الذي هو أساس ثقافة القوم، إذ تروى عنهم في هذا الجانب نوادر من النبوغ عجيبة، فيذكر أن ابن الأمين الشنقيطي أملى كتابه الوسيط من ذاكرته، وأن مدينة "تينيكي" كانت تؤوي ثلاثمائة فتاة يحفظن الموطأ.

وكان من الفتيان الشناقطة من يحفظ القاموس ناهيك عن حفظ القرآن العظيم ومختصر خليل وألفية ابن مالك وطرة ابن بونه وغير ذلك من المقررات المحظرية.

3ـ التنوع في التشويق والإيضاح:

وفي هذا المستوى نذكر بأن النهج المحظري اعتمد أسلوبا تربويا يقوم على توضيح العبارة واستجلاء المعنى، وذلك بضرب الأمثلة واستخدام أديم الأرض باعتباره سبورة تتيح للأستاذ فرصة الشرح والإيضاح، وهذا ما أكده أحد الباحثين بقوله: «ومن أنجع وسائل الإيضاح التصوير وتشخيص المعاني المدروسة، وكما أن التعليم النظامي يهتم بهذا التصوير بالرسم فإن المحظرة تهتم بتصويره بالمسائل المرئية في حياة المجتمع، وبوضع نقاط على الأرض والحكم على كل مجموعة منها، ويعرف بطرح الصور»[14].

وقد كان الشيخ يحظيه بن عبد الودود (ت 1358هـ) بارعا في استخدام وسائل الإيضاح، ومكثرا من ضرب الأمثلة، وكان في دروسه النحوية يشبه عناصر الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) بخيمة مضروبة تعتمد على ركيزتين، فإذا دخلت الأفعال النواسخ هذه الخيمة فإنها تسقط الركيزة الخلفية (الخبر)، ومع قدوم الحروف الناسخة تسقط الركيزة الأمامية (المبتدأ)، ويتم إسقاط الخيمة نهائيا وإزالة رفعها مع حلول أفعال القلوب، وعبر هذه الأمثلة تترسخ المعاني في الأذهان وتنطبع

في الذاكرة، وذلك ما أشار إليه أحمد محمود (مم) بن عبد الحميد (ت 1362هـ) مصرحا بتميز دروس الشيخ يحظيه منتهيا إلى أنه كان يقدم للطلبة من العبارات ما يعذب ويسوغ، مجسدا لهم المعنى البعيد، في صورة القريب المحسوس يقول[15]:

وكـــــان في إقرائـــــه يصـــــوغ عبـــــارة لفهمهـــــم تســـــوغ
يـــريهم المعـــنى أخـــا الطمـــوس مـــــبرزا في صـــــورة المحســـــوس
يضـــرب الامثـــال الـــتي تفهـــم حـــــتى كأنـــــه لهـــــم مجســـــم

ونجد أحد الباحثين المعاصرين يؤكد أن أشياخ المحاظر كانوا يعتمدون في تدريسهم وسائل الإيضاح، مركزاً بشكل خاص على جهود شيخه المختار بن المحبوب (ت 1391هـ) متحدثا عن قدرته الفائقة على الإفهام والتبليغ، حيث تنقلب العويصات على يديه بيانا ووضوحا، وتصبح الغوامض شمسا وضياء يقول: «كأن أسلوبه البديع يجذب المريد إليه، وكأنه يتتبع طيات قلبه ليبسطها أمام المعارف، وكأنه يرى نقاط الغموض فيتتبعها بالشرح والتوضيح والأمثلة ووسائل الإيضاح حتى تنطبع الحقائق في ذهنه»[16].

وقد حدثنا الشاعر محمد بن أشفغ عبد الله: (ت 1353هـ) عن روعة تدريس شيخه لمرابط محمد سالم بن ألما (ت 1383هـ) مشيرا إلى أن الطلبة كانوا يشتاقون إلى دروسه اشتياقا فيصيبهم من الظمأ إليها ما يشبه حالة المتعطش إلى الشراب والطعام، وللتعبير عن تمكن الشيخ من التدريس استخدم الشاعر أسلوبا شعبيا متداولا عبرت عنه الجملة الفعلية "يرى الحاضرون النار تضطرم"، فاشتعال النار هو الغاية القصوى عندهم للمبالغة في كل شيء، فالتدريس إلى أن تشتعل النار معناه التمكن من المادة والإجادة في التدريس، يقول هذا الشاعر[17]:

في الفقـه والنحـو شـيخي لا نظـير لـه فكـــل قَـــرْم إلى إقرائـــه قَـــرِم
فـإن أتـت "طـرة" المختـار يقرئهـا حـتى يـرى الحاضـرون النـار تضـطرم
"وإن أتـــاه خليـــل يـــوم مســـغبة يقـــول لا غائـــب مـــالي ولا حـــرم"

أنا الذي قلت هذا البيت لا ابن أبي سلمى وشيخي هو المعني لا هرم

وفي جانب التشويق نشير إلى أن أساتذة المحاظر أدركوا حاجة الطلبة الذين أرهقهم الاستذكار إلى محفزات تزود شعورهم المنهك بالاجتهاد طرفة، وتفيد طبعهم المكدود بالجد راحة، فسعوا جهدهم إلى إشاعة جو من الأريحية والإمتاع في الحرم المحظري، فقد عمل الشيخ الموريتاني على تحطيم كل الحواجز والاعتبارات الشكلية التي تفصل بينه وبين طلبته، وهكذا نجد الأستاذ يداعب طلبته بلطف، فيرحم الضعيف، ويؤنس الصغير بفتل الأذن وعرك الشعر، وبذلك أصبحت علاقة الشيخ بتلامذته علاقة مودة وزمالة، وذلك ما أوضحه مم في نظمه لسيرة شيخه يحظيه بقوله[18]:

كان لطالب العلوم يرحم لا سيما إذا اعتراه سقم
يؤنسه بعرك أذن وشعر وقد يضمه إليه فيسر
ولا يصون كتبه عن طالب وليس دون بابه من حاجب

4ـ التشبث بعلو الهمة والاصطبار

وفي هذا المستوى نذكر بأن أشياخ المحاظر سعوا جهدهم إلى استنهاض همم الطلاب، ودفعهم إلى اطلاب العلوم، وربما اتبعوا في ذلك أساليب التهكم والتقريع حثا للأبناء على الطلب واستزادة في التضحية وتنفيرا من الغباوة، فنرى أحمد بن محمذن بن المنى الحسني يرسم للجهول المتواني عن الدرس صورة قاتمة مخيفة تجعل منه غبيا من نوع رفيع، لا يقيم للشعر وزنا ولا يحسن للعبارة فهما، ولا يصلح من التعبير منطقا، يقول: [19]:

لحا الله الغباوة لا تواتي وأحرى في الغطارفة السراة
ترى الفتيان من أعلى الزوايا وأكرمهم أبين وأمهات
إذا نودوا لإيضاح المعاني ومنهاج التعارض والتفاتي
عموا عن ذاك وانصرفوا وكانوا إلى أمر سواه ذوي التفات

يخوضـــون القـــريض بـــلا ســـفين ... مـــن الـــوزن القـــويم ولا نـــواتي
وإن أمليتـــــه حســـــنا علـــــيهم ... كـــنظم الـــدر في عنـــق الفتـــاة
يمـــر علـــى مســـامع كـــل فـــدم ... كمـــا مـــر الأتي علـــى الصـــفاة
إلى أن في التنـــاوة شـــاب كـــل ... وأضـــحى ذا بنـــين وذا بنـــات
تـــوخى رتبـــة التوقيـــع يبـــدي ... أفـــــانين الغبـــــاوة للـــــرواة
فـــإن ينطـــق فإســـهاب ولحـــن ... وعـــي في المقالـــة لا يـــواتي
وإن يكتـــب فمـــودق دالفـــات ... مـــن الجعـــلان في وحـــل الثـــراة
وإني مـــن أولئـــك بيـــد أني ... بحمـــد الله تحجـــزني أنـــاتي
عـــن ايـــراد الأمـــور بـــلا اقتـــدار ... علـــى إصـــدار ســـرب الـــواردات
ولم أك ناطقـــا عنـــد افتتـــاحي ... بنطقـــي بالربـــاعى حـــروف "نـــاتي"
ولم أك راجعـــا مـــن ركـــن فـــرض ... لمنـــدوب تـــولى في الصـــلاة

كما عبر أحد الشعراء عن علو همم طلاب المحاظر معربا عن قوة الأواصر الأخوية في ما بينهم، إذ يجسدون في تعاونهم وتعاملهم أبهى صور التكافل والتكامل، يقول[20]:

تلاميـذ شـتى ألـف الـدهر بيـنهم ... لهـم همـم قصـوى أجـل مـن الـدهر
يبتـون لا كـن لـديهم سـوى الهـوا ... ولا مـن سـرير غـير أرمـدة غـبر

ونقرأ أبياتا لمحمدو بن عبد الله الجكني تبالغ في علو همم الطلاب إذ يقاومون بأحيائهم الجامعية كثير الغبار الذي يغطي الوجوه ويواري الشخوص بأتربته العاتية وأجوائه الضبابية فلا يزيد الهمم إلا صلابة ولا العزائم إلا شدة، مما جعل الرجل يفتدي أبناء هذه الأعرشة بنفسه وأهله، واصفا ما هم عليه من عظيم التضحية وصادق العزم، فهم على الدراسة صابرون مصابرون يقضون يومهم في إتقان معضلات فصول "الرعاف" و"اليمين" من مختصر خليل، ولا يصدهم عن ذلك سغب ولا نعاس، يقول[21]

بنفسي وأهلي والأقارب فتية تواريهم وسط المدارس غبرة
لهم همم فاقت حساما مهندا تقصر عنها في المضي الأسنة
يسير على "قف الرعاف" رعافهم وفي "خصصت" تلفى هنالك نية
أبو مالك عن ابنه لم يعقهم ولا عن خليل عاقت القوم خلة[22]
ظلالهم الخضراء والارض مهادهم وما لهم عن تي ولا تلك جنة

كما نطالع أبياتا للبشير بن امباريكي ينصح ضمنها للطلاب ألا ينتظروا بتحصيل العلم ما ينالون من نيل، أو يحظون به من منح وألا يدخروا في جنب اقتنائه ثروة ولا وقتا، لينتهي إلى أن العلم لا ينال إلا بالتضحية وعلو الهمة يقول[23]:

ليس التعلم موقوفا على النشب ولا بكثرة ما يساق للحلب
ولا بـ "دراعة" راقت خياطتها ولا بـ "تاسفرة" للوح والكتب
ولا "مزاود" زرع أنت تحملها فخرا فتنفقها في اللهو واللعب
هيهات هيهات لا تطمع به أبدا دون التواضع والوقار والأدب
وهمة لا تزال الدهر تطلبه في حالة "الشطن" والأكدار والتعب[24]

ثانيا: المحاظر الشنقيطية حماية للفرد وتحصين

وفي هذا الجانب سنعرض لأثر المحاظر الشنقيطية في تحصين الشباب من الضياع والانفلات أثناء فترات المراهقة، إذ سعت جهدها إلى أن تصرفهم عن الملذات والمجون. عاملة على تعهدهم بالرعاية والتوجيه منذ نعومة أظافرهم إلى أن يبلغوا سن الرشد، باذلة وسعها في تسييج الإيمان والمعتقدات، وتصحيح المنطق والبيان وتحصين العقول والأذهان وذلك ما سنتناوله في المستويات الآتية:

1ـ تحصين المعتقد والإيمان

وفي هذا المستوى بذل القوم جهودا مشكورة في تصحيح عقائد الأبناء فكانوا يربونهم على فطرة الاسلام وكلمة الإخلاص، معززين ذلك بمنطلقات العقد الأشعري من خلال ما يرددون على مسامعهم من قول الشاعر[25]:

من كان في الحشر له عدة تنفعه في عرصة المحشر
فعدتي حب نبي الهدى ثم اعتقاد مذهب الأشعري

وكانوا يعتمدون في مقرراتهم العقدية المؤلفات الجزائرية وخاصة لامية أحمد بن عبد الله الزواوي ت884هـ، المعروفة بالجزائرية، والتي مطلعها[26]:

الحمد لله وهو الواحد الأزل سبحانه جل عن شبه وعن مثل
ثم الصلاة على خير الورى أبدا وصحبه مع سلام طيب خضل
وبعد فالعلم بالتوحيد مفترض بالاحتلام وعقل غير مختبل
وبالمحيض وبالسن الذي ذكروا وليس من ألحق الإنبات ذا خلل
بل كل ما بلسان الشرع نفعله فرض تعلمه وإن جهلت سل
فهاك نظم فصول من قواعده من رام بالنظم حصر الكل لم ينل

كما عولوا كذلك على مؤلفات الإمام محمد بن علي السنوسي ت 889هـ مستمتعين بقطوفه المهتصرة ومؤلفاته المطولة والمختصرة، وزيادة على ذلك فإنهم اعتنوا كثيرا بمنظومة إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة لأحمد المقري ت 1040هـ باعتبارها أنشودة عقدية رائعة، تلقاها الناس بالقبول فحضرت في الأذهان وحصلت في الصدور، وترددت على شفاه الرضع وربات الخدور.

وبذلك فإن القوم أحكموا تحصين أبناءهم في جانب العقيدة معززين هذه المقررات الجزائرية بمؤلفات شنقيطية يأتي على رأسها كتاب "أس الإسلام، للمختار (انجبنان) بن ألمين الحيبلاوي،

ت 1160هـ المعروف بمهرق التوحيد، وذلك ما أشار إليه أحد علماء القوم مؤكدا أنه كتاب جامع لأصول الدين وخاصة ما يلزم تعلمه ويعد تركه نبذا لما علم من الدين ضرورة، يقول[27]:

القلقشـــــندي علمنـــــا أن النـــــبي مـــن هاشـــم ومـــن قـــريش النخـــب
وأنـــــه لطيبـــــة قـــــد هـــــاجرا مـــــن مكـــــة ومكـــــة أم القـــــرى
مشـــــترط في صـــــحة الإيمـــــان في "مهـــرق التوحيـــد" لـــ "انجبـــان"

وتتنزل في هذا السياق جهود الشيخ محمد اليدالي ت 1166هـ التي تجلت من خلال موسوعته الكلامية المتميزة المعروفة بفرائد الفوائد والتي استودعها الكثير من التوجيهات السلوكية المهمة، يقول: " ثم لما كان علم أصل الدين المسمى علم الكلام المتعلق بتوحيد الله وما له من صفات الجلال والإكرام هو أفضل العلوم وأعلاها وأقومها حجة وأجلاها، إذ هو رأس مال المرء وإكسير النجاة، وضعت عقيدة تشتمل على فصول وقواعد من التوحيد، وأصول جمعت غرر قواعده ونظمت درر فوائده"[28].

كما نجد المرابط محمذن فال ولد متالي ت 1287هـ يجمع أساس العقيدة الإسلامية في رجز سهل عده القوم من أنفع التحصينات العقدية وأكثرها وجاهة وإقناعا، يقول[29]:

ومـــــوقن وجـــــود رب واعـــــترف بـــالعجز عـــن إدراكـــه فقـــد عـــرف
ولـــيس ذنـــب فـــوق ذنـــب الخـــائض بـــــالفكر في ذات العلـــــي الخـــــافض
مـــا انفـــك حـــادث عـــن الجهـــل بـــه فـــــأين للحـــــادث علـــــم ربـــــه
غايـــــة علـــــم العلمـــــا ومنتهـــــى إدراك أربـــــاب العقـــــول والنهـــــى
أن يجزمـــــوا أن لهـــــذا الخلـــــق مصـــــورا أوجـــــده بـــــالحق
متصـــــفا بصـــــفة الكمـــــال منزهـــــا عـــــن ضـــــدها المحـــــال
وطـــــرق المعرفـــــة الكبـــــار عيـــــان او مثـــــال او آثـــــار
فـــــأول منعـــــه الجبـــــار إذ قـــــال: "لا تدركـــــه الأبصـــــار"

والثـــاني أيضـــا لم يصـــح في النقـــل لأنـــه لـــيس لـــه مـــن مثـــل
لم يبـــق بعـــد ذا ســـوى آثـــار قدرتـــه في العـــالم الســـيار

وبذلك فإن العقد الأشعري أعقب في نفوس القوم إيمانا راسخا وأورث عقولهم مزيدا من التبصر وإحكام النظر، فحصنوا أبنائهم بترسانات عقدية عالية المستوى تدفع الخصم وتردع المجادل، محكمة القول في مسائل أصول الدين وعويصات علم الكلام.

2ـ تقويم المنطق والبيان

وفي هذا المستوى نذكر بأن الشناقطة سعوا جاهدين إلى أن يعلموا أبناءهم اللغة والأدب في وقت مبكر من حياتهم، وذلك تقويما للألسنة وتنمية للذوق وتحصينا للسليقة من الذوبان في أوحال التعثر والعجمة. فكانوا يدربون الأبناء على حفظ القرآن ونصوص الشعر، لينشأوا نشأة لغوية متميزة تقوم على تدريبات نحوية تعرف عندهم بـ"التمييز" يكملونها ببعض التمرينات الإعرابية ليتعزز ذلك باستظهار المعلقات ولامية العرب وبانت سعاد وبردة البوصيري. وذلك بالإضافة إلى بعض النصوص الشنقيطية.

لذلك فإن مناطق من الوطن الشنقيطي كانت تقدم دروس اللغة والنحو على دروس الفقه والأصول، جاعلة لمدونات الشعر الجاهلي في المقررات المحظرية نصيبا مفروضا وحضورا مذكورا، إذ تأتي في المرتبة الثالثة، بعد تصحيح العقيدة وحفظ القرآن.فمن المتداول على ألسنتهم قول محمد بن الطلبة اليعقوبي[30]:

أول واجـــب علـــى مـــن كلفـــا تعلـــم اللغـــةحتى يعرفـــا
معـــنى الإلـــه باللســـان العـــربي لأنـــه مفتـــاح نيـــل الأرب

ونجد أحد الشعراء يجعل تعلم اللغة في المرتبة الثانية بعد العقيدة يقول[31]:

أول واجـــب علـــى مـــن كلفـــا أن يعـــرف الله وأن يعـــرف "قفـــا"[32]

ولا ننسى أن نسجل هنا أن المرابط محمذن فال بن متالي صرح بتقديم تعلم اللغة على التفرغ للنفل، والتفرد للعبادة والتبتل يقول[33]:

تعلـــم اللغـــة شـــرعا فضـــل علـــى التخلـــي لعبـــادة العلـــي
يؤخـــذ ذا مـــن قولـــه وعلمـــا آدم الاسمـــاء الـــزم التعلمـــا

وأكثر من ذلك فإننا نجد الشناقطة ينصحون لأبنائهم بالصدور عن النحو والإعراب وذلك ما أشار المختار بن حامد راسما لوحة فنية لتراتب بعض العلوم في بعض من المحاظر الشنقيطية يقول[34]:

عليـــك بـــالنحو ألا فـــاحوه والفقـــه فـــاحوه علـــى نحـــوه
واللغـــة انـــح نحوهـــا إنهـــا مـــن خـــير مـــا ينحـــى إلى نحـــوه
والـــزم عـــروض الشـــعر تغـــنم بـــه واحـــو المعـــاني والبيـــان احـــوه
والمنطـــق احـــوه ففـــي ســـكره جاهلـــه يـــا صـــاح لا صـــحوه
واعمـــل بعلمـــك وإلا يكـــن علمـــك كالعـــدم أو نحـــوه

وبذلك ينشأ الطفل الشنقيطي على سليقة عالية بفعل ترجيع النصوص وحفظها وهو ما يعصمه من العجمة ويسهل عليه النطق بالحروف ويهيئ له أسباب الفصاحة والبيان.

3ـ تحصين العقول والأذهان

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشناقطة اعتمدوا في تنمية ملكات أبناءهم وتحصين قدراتهم العقلية مسطرة تربوية محكمة البناء والتنسيق همها في تنمية القدرات الذهنية والعبقريات الفردية، فعولوا على جملة من المحفزات النظرية التي تدعو إلى التأمل والتعلم على نحو يكسب الفرد مزيدا من الفطنة والذكاء ويدفعه إلى رفيع التبصر والاستنباط.

وفي هذه المحفزات تتعانق الملكات الفطرية مع المواهب المكتسبة فتلوح للناظر بنية تكوين العقل الشنقيطي التي تعتمد مكونات عفوية فطرية، وأخرى مكتسبة، وذلك ما سنعرض له في ما يأتي:

1ـ الحكايات الشعبية:

والمقصود من هذه الحكايات هو خلق إطار للنظر والتفكير في ذهن الصبي، لكي يصبح قادرا على الاستدلال والاستنتاج، عارفا بالحجة والبرهان، ومتمكنا من أساليب الجدل والإقناع، ومن الحكايات المشهورة في هذا الصدد ما يذكرون أنه دار بين الذئب والدب، وهو في جملته يشير إلى أن الحيلة والذكاء مع الصغر والضعف أنجح في تحقيق الأمور من عظم الجثة وقوة البدن مع البله والبلادة، فيحكون أن الدب سافر مع الذئب مرة في أرض شائكة، في شتوة باردة وعندهما راحلة وكساء، فقال الذئب لزميله هلم نسهر هذه الليلة في عبادة الله، فأينا كان أسبق إلى أذان صلاة الصبح نجازيه بأن يركب الراحلة نهار، ويلبس الكساء ليلا، فاتفقا على ذلك، فنام الذئب وبات الدب يصلي حتى طلع الفجر، فأذن وأيقظ أذانه الذئب، فقال هذا الأخير: "السلام عليكم" رافعا بها صوته ليوهم زميله أنه بات يصلي وأنه سبقه إلى الصلاة حيث أكملها وفرغ منها. فبهذه الحيلة ربح الذئب الكساء في الليل والراحلة في النهار لعبقريته وذكائه[35].

وفي هذا السياق نفسه يحكون أن الذئب كان زوجا للأرنب وعنده ثور وعندها بقرة، فولدت البقرة عجلة وقال الذئب هي بنت ثوري، وقالت الأرنب: بل هي بنت للبقرة، واحتكما إلى الثعلب، فوعدهما صبيحة الغد، فلما ارتفع النهار قدما إليه، فوجداه قد طلى وجهه بالمغرة (طين أحمر معروف تطلي به المرأة النفساء وجهها إذا ولدت أنثى) فسأله الذئب: ما بالك؟ فقال له: إني نفست البارحة، فقال: أينفس الذكور؟ فقال: اعرفها إذن ورد إلى الأرنب عجلتها وأعطها حقها[36].

وهكذا يكتسب الطفل من هذه الحكاية ومثيلاتها قدحا للذهن والعبقرية، وتطويرا لآليات النظر والاستدلال، وتعميقا لمقولات المنطق التي لا تقبل الأمر الخارق للعادة غير المعزز بالبرهان.

2ـ التدريبات الذهنية:

تعد الألغاز والأحاجي إطارا مناسبا يتم فيه إعداد النشأ للنظر والتفكير وحملهم على إعمال الذهن وقدح العبقريات، وفي هذا الصدد كان الأطفال يجلسون أول الليل مع الأمهات والجدات في حلقات حوارية خاصة يتم خلالها تقديم جملة من الألغاز والأحاجي الشعبية يتبارى الصغار في كشف أسرارها وفك بعض أزرارها.

ومن الألغاز التي يربون من خلالها الصبيان على التفكير تقسيم زق من الدهن بالسوية بين فردين، فيسألون الطفل عن كيفية توزيع قارورة من الدهن على شخصين بالتساوي مع العلم أن القارورة تسع ثمانية أمداد، والمقسِّم لا يتوفر إلا على إناءين أحدهما يسع خمسة أمداد والآخر يسع ثلاثة [37].

والجواب عن هذا أنه يملأ الإناء الصغير ويفرغه في الكبير، ثم يملأ الصغير ثانية ليفرغه في الكبير مرة أخرى، وعندئذ سيمتلئ الإناء الكبير بأن تحصل فيه خمسة أمداد ليبقى في الصغير مد واحد، وفي الزق مدان، فيتهيأ ساعتئذ إفراغ سعة الإناء الكبير في الزق، فإذا ما خلا الإناء الكبير جعل فيه المد الذي في الإناء الصغير، ثم يملأ الإناء الصغير مرة أخرى ليفرغ في الكبير، فتحصل فيه أربعة أمداد، وتبقى في الزق أربعة، وهذا هو الحل المطلوب.

ومن الألغاز التي يمتحنون بها الذكاء أيضا بذل الجهد في تنسيق بعض الأشياء المتنافرة، وذلك على نحو ما في الاختبار الآتي:

إذا كان عندك ذئب ومعزاة وغصن شجرة مورق ولديك زورق صغير لا يتسع لأكثر من واحد من هذه المذكورات، فكيف تستطيع أن تعبر نهرا بهذه العناصر من غير أن يخلو الذئب بالمعزاة أو تنفرد المعزاة بالغصن لما قد يترتب على ذلك من الخطر والعصف بإكمال المهمة[38].

والجواب عن هذا أن تحمل المعزاة أولا وتتركها وراء النهر ثم ترجع وتحمل الغصن وتتركه وراء النهر حيث كانت المعزات ثم ترجع بها معك وتتركها في نقطة الانطلاق ثم تحمل معك الذئب وتتركه مع الغصن وراء النهر وتعود صفر اليدين غير حامل معك شيئا فتأتي بالمعزاة.

ومن أساليبهم المنشطة للذهن أن يطلبوا من الطفل تكرير بعض العبارات المتقاربة في المخرج بسرعة فائقة دون أي تعثر أو تلعثم، وهذا من شأنه أن يدرب الطفل على النطق بالحروف في فصاحة وبيان، ويمرنه على إخراجها من مخارجها مع مراعاة أوصافها، ومن أمثلة ذلك أنهم يأمرون الصغير أن يكرر على عجل هذا التعبير الحساني: "انخطاحروف وانحط اخروف" [39]إلى غير ذلك من العبارات المتقاربة في مخارج الأصوات.

3ـ الندوة الشعرية:

ونقصد بها ذلك السمر الأدبي القائم على استحضار الشعر من الذاكرة على نحو يقدح الأذهان وينمي ملكة الحفظ، وكثيرا ما يتم هذا النشاط في حرم المحظرة أو بأحد بيوتات الحي. وصورته أن يجتمع نفر من الشباب أقلهم ثلاثة وينتظموا في حلقة ثقافية، وغالبا ما يكون ذلك بعد صلاة العشاء، أو قبيلها بيسير. وفي فاتحة اللقاء يتفقون على أن يتذاكروا محفوظاتهم الشعرية عبر آلية تدريبية قوامها أن يبدأ أحد الحاضرين بإنشاد بيت من الشعر من ذاكرته ليقوم من عن يمينه بإنشاد بيت تكون فاتحته روي البيت الذي أنشده الأول، ثم ينشد الذي عن يمين هذا الثاني بيتا ثالثا يكون أول حرف منه آخر حرف من البيت الذي أنشده سابقه وهكذا، فإذا كان المنشد الأول أنهى بيته بروي الهمزة فإن المنشد الثاني يلزمه أن يستحضر من ذاكرته بيتا يبدأ بحرف الهمزة، وإذا كان هذا البيت المبدوء بحرف الهمزة ينتهي بحرف الياء فإن المنشد الثالث يتحتم عليه أن يأتي ببيت يبدأ بحرف الياء، وهكذا حتى تتم الدورة وقد تتكرر عدة مرات على هذا النحو، دون إعادة لما سبق إنشاده.

وقد يكون مستوى الجماعة عاليا ومحفوظهم الشعري متعددا فيلجأون عندئذ إلى تقليص دائرة الاختيار لتنحصر في الشعر الجاهلي أو العباسي أو الشنقيطي مثلا، وقد يختارون مجالا محدودا كأحد الأغراض الشعرية، فيقع اختيارهم في الندوة على غرض معين كالمدح أو الرثاء أو الحكمة أو الغزل، أو غير ذلك من القيود المعرفية التي تكشف عن التمكن من ناصية اللغة سعة مخزون القريض.

ومن الأعراف المتداولة في الندوات الشعرية المتميزة إقصاء الأراجيز والمنظومات التعليمية من دائرة الاهتمام وحقل التنافس، ومن تقاليد هذه الندوات أن المشارك إذا ما عجز عن استحضار البيت الذي لزمه فإن له أن يستقرض بيتا من بعض الحاضرين ولهم أن يقرضوه، فإذا تكرر منه الأمر مرات دل ذلك على قصوره، مما قد يضطر المجموعة إلى أن تخرجه من الحلقة بلطف، وسنقدم نموذجا من نماذج الندوات الشعرية في ما يأتي:

محمـــد ســـيد الكـــونين والثقليـــ ـــن والفـريقين مـن عـرب ومـن عجـم
مـديح سـوى المختـار بالعقـل يعبـث وأكثـــره جهـــل بـــه المـــرء يرفـــث
ثم انثـــنى ذات اليســـار غديـــة يتتبـــع الأوكـــار في "أوكـــارا"
رمـــت الفـــؤاد مليحـــة عـــذراء بســـهام لحـــظ مـــا لهـــن دواء
ألا يـــا صـــحبتي عوجـــوا فحيـــوا ربوعـــا مـــا بمربضـــهن حـــي
يـا معشـر البلغـاء هـل مـن لـوذعي يهـــدى حجـــاه لمقصـــد لم يبـــدع
علـى قـدر أهـل العـزم تـأتي العـزائم وتـــأتي علـــى قـــدر الكـــرام المكـــارم
مرامـــــي رزق واســـــع يتيســـــر ونصـــر ورضـــوان مـــن الله أكـــبر
ربعـت في مجـادل "الكـرب" ترعـى جلهـــات بهـــن حـــو البطـــاح
حـل في القلـب حـب طـه فتاهـا إنمـــا الفخـــر كلـــه حـــب طـــه
هـــاج قـــرح الغـــرام بعـــد انـــدمال ظعـــن ظعـــن الخلـــيط يـــوم إنـــال
لا تـــنس ربـــك في ري ولا ظمـــإ ولا بحضـــرة ضـــرغام ولا رشـــإ
أمـــن آل نعـــم أنـــت غـــاد فمبكـــر غـــداة غـــد أم رائـــح فمهجـــر
رمتـــني علـــى فـــوت بثنيـــة بعـــدما تـــولى شـــبابي واشـــرخن شـــبابها
بانـــت ســـعاد فقلـــبي اليـــوم متبـــول متـــيم إثرهـــا لم يفـــد مكبـــول

وبذلك تكون التربية المحظرية قد فعلت فعلها في وضع اللبنات الأساسية لبنية العقل الشنقيطي، مدربة العقل على إعمال النظر وقدح العبقريات وتقوية الذاكرة.

ثالثا: المحاظر الشنقيطية سفارة وتمكين

وضمن هذا المحور سنعرض لثلاث مسائل تهتم أولاها بالسفارة المحظرية في العالم الإسلامي وتعنى ثانيتها بالبصمات المحظرية في الغرب الإفريقي وتركز ثالثتها على الجهود المحظرية في مقاومة الاحتلال الأجنبي

أـ السفارة المحظرية في العالم الإسلامي

نذكر هنا بأن الشناقطة سعوا جهدهم إلى تكوين أبناء المحاظر تكوينا علميا متميزا وذلك ما هيأ علماءهم للتقدم في المجالس والنوادي العالميةويكفي دليلا على ذلك أن شناقطة كثيرين سفروا لهذا البلد أحسن سفارة، فأشادوا به في المحافل الدولية، روفعوا له ذكره، ومن هؤلاء الشيخ محمد محمود بن التلاميدالتركزي، المعروف في الأوساط المشرقية بالشنقيطي، ت 1322هـ فقد أقام في الحجاز متصلا بالنخبة العالمة، ففي حرم المدينة لبث ربع قرن وهو جالس لتدريس الرجال وتكوين الأجيال، وذلك ما عبر عنه بوضوح حيث يقول[40]:

وقد ربيتهم عشرا وعشرا ... وخمسا كاملات من سنين
بإطعاميهم والعلم غث ... سدائف من ذرى علم سمين
وسقييهم وخمر العلم خل ... سلافة خمر علمي ذا المعين

وقد شهد له طلبته هنالك بالتقدم والتميز، إذ صرح شاعر الجزيرة يومئذ عبد الجليل برادة بأنه محمدة العصر ومفخرة شنقيط، يقول[41]:

لئن فخرت شنقيط يوما فبالحري ... وحق لها بابن التلاميد مفخر
أقول وإني ناصح جد مشفق ... مقالة صدق أجرها أتنظر
هلم بغاة العلم في سوح طابة ... إلى العلم عند ابن التلاميد تظفروا

ونال الشيخ هذه المنزلة نفسها بالأزهر حيث قدمه المشايخ هنالك واعترفوا له بالفضل ومكنوا له في الأرض فتهيأت له أسباب البحث والتأليف، فدرس وناظر، وجمع كتب التراث وحقق الكثير منها، وقد امتدت رحلاته، إلى القسطنطينية عاصمة الخلافة الإسلامية يومئذ فأوفده السلطان العثماني في مهمات علمية إلى الأندلس وإلى السويد، فكان بذلك سفير العلم والمعرفة وآية الحفظ والتمكن من ناصية اللغة.

ومن هذه الأوجه الثقافية الفقيه محمد يحي الولاتي ت 1330هـ الذي جلس للتدريس بالمدنية المنورة فترة حاور خلالها العلماء ونشر المعارف والعلوم، وذلك ما أوضحه بقوله: " وممن لقينا من الأفاضل في المدينة المنورة، السيد الأرضى علوي، والشيخ تميم سعد المخرج حسن، ودرَّسنا بمدة إقامتنا بالحرم الشريف موطأ مالك رضي الله عنه، وعقود الجمان للسيوطي، وورقات إمام الحرمين.

ولا ننسى كذلك جهود الشيخ محمد أمين الشنقيطي ت 1351هـ الذي لبث فترة في المشرق العربي يرشد الناس ويعلمهم الكتاب والحكمة، فدرس بالعراق، وأسس بالكويت جمعية النجاة، التي تهدف إلى توعية المسلمين وتبصيرهم بأمور دينهم، فامتدحه أحد الشعراء الكويتيين بقوله[42]:

اليوم هللت الكويت وكبرت	لما أتاها العالم النحرير
واستبشرت فرحا بنابغة الهدى	حتى حسبنا أنها ستمور
إيه بني قومي وسادة معشري	أوموا إليه كلكم وأشيروا
أمعطر الإسلام من نفحاته	ومعيد روض الدين وهو نضير
بشرىلهذا الثغر لما زرته	فلكم تمنت أن تراك ثغور

ومن هذه القمم الثقافة نذكر الشيخ محمد الامين الجكني الشنقيطي ت 1394هـ الذي تصدر المنتديات المعرفية بالمملكة العربية السعودية على عهده، فكان مدرسا وخطيبا ووجيها، فأقبل الناس إليه يزفون، ومن معارفه يغترفون، فقربته السلطات ومكنت له في المنطقة.

ومن سفراء المعرفة الذين مثلواهذه البلاد أحسن تمثيل أحمد بن الأمين الشنقيطي، مؤلف كتاب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط الذي جاء استجابة لطلب من صديقه المصري أحمد أمين واستمالة لأفئدة المشارقة نحو أدب المغاربة وغيرة على ما أصاب منتوج قومه من غبن وإهمال، وردا على بعض المتطاولين الذين يقصرون الإبداع على أهل المشرق، وهم عن أدب المغاربة معرضون يقول: " وبعد فلما كان تدوين الآثار يثير اعتبار أولي الأبصار وبه يتسنى للحاضر أن يقتدي بالغابر ندبني من لا تسع مخالفته ولا يسع إلا ملاطفته، صديقي السيد أحمد الأمين الخانجي، أن أجمع له ما تسنى لي من شعر أهل بلدي مما استقر في خلدي لاستحسانه ما سمع مني معزوا إليهم، فأجبته إلى ذلك الطلب راجيا من الله حسن المنقلب، وأخبرت بذلك بعض نبهاء المصريين فاستغرب ذلك ظنا منه أن الآداب العربية لا يتصف بها غير الأقطار المشرقية (...) فحدتني حمية العصبية إلى نشر ذلك البز الدفين، لينشر في المغربين والمشرقين"[43]. وقد كان الرجل جولة مسفارا فزار الحرمين الشريفين والقسطنطينية وبلاد روسيا، وهنالك رد على أحد المستشرقين ممن يحيون الشعوبية في ثوب جديد وينتقصون من فضل العرب، فألف كتابه المشهور "طهارة العرب"، وغير هؤلاء كثير ولم يكونوا ليبلغوا هذه المراتب السامية إلا بفعل تكوينهم الأكاديمي المتميز في كنف المحاظر.

وبالجملة فإنهم مثلوا بلدهم أحسن تمثيل، مجسدين بذلك سفارة معرفية عالية، فكانوا من أبرز طواقم التدريس بمختلف البقاع الإسلامية. فهم رسل المحظرة الشنقيطية إلى العالم وقد بهرت ثقافتهم من الناس العيون، فطفقوا يعترفون لها بالفضل والتقدم، ويذعنونلأبنائها بالحفظ والتوفق وذلك لما امتاز به أبناؤها من قوة في الذاكرة وسعة في المحفوظ، فاستنجد بمحفوظهم أهل نجد، وتصعد إلى مخزونهم أهل الصعيد. فأحيوا بذلك دروس العلم وهي رميم، وأرشدوا إلى التعلم من أبناء تلك البلاد جبلا كثيرا.

ب ـ البصمات المحظرية في الغرب الإفريقي

يحسن أن نذكر هنا بأن للشناقطة في الصعيد الإفريقي حضورا معرفيا كبيرا فقد ظلوا هنالك مصابيح الهداية والعلم، وينابيع القيم والحلم، فكانوا مستشارين للملوك والرؤساء ينيرون لهم

الطريق، ويظهرون وجه الحقيقة ويسطرون رفيع الأقضية والفتاوى "فبقي بين أظهر الزنوج وبحضرتهم دائما بعض رجال الدين من الشعب الذي يسمى صنهاجة أو العرب"[44].

وينبه الرحالة البرتغالي كادامستو إلى جهود الشناقطة في نشر الإسلام بأرجاء مملكة جلف السينغالية مبينا حضورهم الفاعل ورأيهم النافذ في مقاليد السلطة ونظام الحكم، يقول: "فالملك وجميع السادة من نبلاء جلف يتبعون المذهب المحمدي ويوجد بين ظهرانيهم رجال دين من البيضان، وهم مبشرون محمديون يعرفون القراءة والكتابة"[45].

ويؤكد الرحالة الفرنسي بيير لابات أن القوم عملوا على نشر تعاليم الإسلام بين صفوف الأفارقة السود موضحا "أن البيضان هم الذين نقلوا الديانة المحمدية إلى الزنوج ولهذا كان لهم نفوذ قوي في هذه الشعوب التي تنظر إليهم كأساتذة مرشدين في كل ما يتصل بالدين والدنيا"[46].

ويصرح أحد الأستاذة السينغاليين أن الشناقطة هم أشياخ أمته وأستاذة بني أرضه، فهم الذين أدخلوا التعليم العربي والإسلامي إلى ربوع إفريقيا، بل هم أول من علم السينغاليين[47].

والأهم من ذلك أن كثيرا من أبناء المحاظر الشنقيطية كان يرتحل إلى البلاد السودانية نشرا للدعوة وبثا للعلوم، فتم بذلك التثاقف بين المنطقتين وامتد تأثير أئمة التصوف وأشياخ المحاظر إلى سكان الضفة الجنوبية للنهر، فكان لعدد من الشيوخ الشناقطة أتباع ومريدون في الضفة المذكورة، ومن أبرز هؤلاء الشيخ سيد المختار الكنتي ت 1226هـ. والشيخ محمد الحافظ العلوي 1247هـ والشيخ سيدى بن المختار بن الهيبه الانتشائي ت 1285هـ والمرابط محمذن فال بن متالي التندغي 1287هـ والشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل القلقميت 1335هـ، وغيرهم، وبذلك فإنهم نشروا المعارف الإسلامية في السودان الغربي كله فغدت المناطق الإفريقية مناخا للدعوة صالحا، وأرضية للتوجيه خصبة، فتعالت بتلك الربوع صيحات النصح والإرشاد وارتفعت نداءات التوجيه والإصلاح، وتغلغل القوم إلىأعماق القارة مبشرين ومنذرين فلامسوا أفئدة الشعوب ونسجوا وشائج من الرحم العلمي والقرابة المعرفية نظمت أبناء المنطقتين ولحمت أعراقهما، ويتجلى جانب من ذلك في جهود الشيخ سعد أبيه الذي انتشر صيته هنالك بفعل

ما نشر من المعارف والأوراد فنال الشهرة والقبول، فانضوى تحت لواءه عدد من الطلبة والمريدون، وذلك ما أوضحه المختار بن المحبوبي بقوله[48]:

ومات في "هل"[49] من الأعيان سعد أبيه غرة الزمان

من عم الأرض مشرقا ومغربا علما وحلما وتقى وأدبا

ونشر الأوراد والسودان ذلوا له وخضعوا ودانوا

كما أشار العالم سيد أحمد بن اسمه إلى قوة تأثير حضرة هذا الشيخ في نفوس الأفارقة مبينا أثرها الكبير في نشر الإسلام وتعميمه في مختلف المناطق والحواضر في غرب إفريقيا يقول: « شاهدنا بمباره وصوصات وغيرهم من سائر الأجناس يأتون من بلادهم البعيدة ماشين على أرجلهم إلى أهل الشيخ سعد أبيه من غير أن يدعوهم إلى ذلك إلا سابق السعادة فقد كانوا قبل إتيانهم كفارا جهالا أعجاما فبدلهم الله تعالى الإسلام مكان الكفر والعلم مكان الجهل، والتعرب مكان عجمتهم ثم يكونون أئمة دعاة إلى الخير فيهتدي على أيديهم آخرون وذلك ببركة أولئك الأشياخ»[50].

ويقدم ابن اسمه في كتاب النصح الأتم والصلح والسلم، بحثا وافيا سلط خلاله الضوء على تأثير الأشياخ ونشاطهم العلمي مؤكدا أنهم قد عملوا جهدهم على نشر الإسلام وهداية الشعوب وإرشادها إلى الخير، وقد نوه كثيرا بمجهود الأسر الفاضلية، يقول: « وكم اعتنق الإسلام على يد الشيخ المحفوظ من جولات وغيرهم أما أهل آب محمد فهم العجب العجاب فقد اهتدى على أيديهم من بمبارةوسوننكي وأجناس لا أعلم أسماءها ما لا يعلم عدده إلا الله. وقد مررت بهم في بعض السنين فأخبروني أنه تاب (أسلم) على أيديهم في ذلك العام عشرون ألف نفسا، وللمختار بن عبد الجليل التندغي من ذلك نصيب»[51].

ولا ننسى أن العلماء الشناقطة كان لهم موقف مناصر من الحاج عمر الفوتي فدافعوا عن جهوده وجهاده وبذلوا وسعهم في تغذية هذا الجهاد وتغطيته، مشكلين بخطاباتهم الشعرية والنثرية شرارته ووقوده، فتعالى صوت الشيخ محمد المامي بأقصى الشمال الغربي من بلاد شنقيط

مهنئا الرجل بمطولة شعرية استهلها بالتحية والثناء مشيرا إلى خصوصية هذا المجاهد ومرونته حيث جمع بين التجديد والإصلاح فجسد بحق نموذج الإمام العدل الذي إليه الشناقطة يطمحون وبمثله يحلمون يقول[52]:

سلام إلى من نور مغناه فائح ومن نوره للشمس والبدر فاضح
ومن ضره للكفر ماح وهادم ومن نفعه للخلق غاد ورائح
فكنا نرى للغرب عدلا يقيمه عليه بقرب المصطفى النور لائح
وفي عمر الحاج الموقف وسم ما نحاوله من ذلك الكنز لامح
وما كل منصور اللواء مجدد ولا كل ذي التجديد للأمر صالح
وقد حزتم الأمرين فالله ناصر لكم وزمان المهدوية جانح

أما سيد محمد بنامبوجه فيمكن أن يوصف بأنه شاعر الجهاد العمري، فقد تضمن ديوانه عدة نصوص تشيد بفتوحات الحاج عمر وجهاده من أبرزها مطولته التي تقع في سبع وتسعين ومائتين من الأبيات، قد سمها شمس القصائد الغرر في تهنئة الحاج عمر، وقد تضمنت تصويرا مستفيضا لما كان يراه الشاعر في الشيخ من فضائل دينية وأخلاقية وما يعلقه عليه من الآمال لإنقاذ البلاد والعباد، يقول[53]:

ولما استويت اشتد كاهل ديننا بساعدك المقرون باليمن والقهر
فأحييت رسما دارسا من علومه وشيدت بنيان الخلافة في قصر
وجاهدت في مولاك حق جهاده وقمت بأمر الله منشرح الصدر
فأصبحت مخصوصا بحسن سياسة تساعدها الأقدار بالفتح والنصر
قد اكتنفتها حدة عمرية تشاب بعطف مثل عطف أبي بكر

وبالجملة فإن أبناء المحاظر الشنقيطية امتد تأثيرهم إلى مختلف مناطق غرب إفريقيا فأسسوا هنالك مراكز ثقافية وحضرات صوفية ظلوا لها عاكفين وفي سبيلها مرابطين، فبلغوا رسالات الله

إلى أبناء القارة السمراء فكانوا بذلك ينابيع الهداية والعلم وعناوين الإبانة والرشد، إذ بعثوا من صفوة أبنائهم إلى الأفارقة الأميين رسلا مبشرين ومنذرين كما استقبلوا برحابة صدورهم أعدادا من الأفارقة الوافدين.

ج- الجهود المحظرية في مواجهة المد الأجنبي

لقد بذل أشياخ المحاظر جهودا مشكورة في مواجهة الاحتلال الأجنبي، سواء تعلق الأمر بمحاصرته ومضايقته بمختلف الوسائل، أواتصل بالعمل على مقاطعة مشاريعه الثقافية، فقد جاءت فتاواهم الفقهية ومنتوجهم الشعري تعبيراً عن كل ذلك، وهو ما سنعرض له في مستويين:

أ- مواجهة المخططات الاستعمارية:

وفي هذا المستوى ننبه إلى أن أبناء المحاظر شحذوا أقلامهم للدفاع عن حوزة الوطن الشنقيطي مصرحين بلزوم مواجهة النصارى ومجاهدتهم، وذلك ما أوضحه المختار بن المعلى داعياً على قوات الاحتلال بقاصمات الظهر، واختلاف الصفوف مع الخزي والهوان يقول[54]:

يمين الـبر أتبعها يمينا ... لقد وجبت مجاهدة النصارى
أزال الله ملكهم وأجرى ... جراف الكبت فيهم والدمارا
ومزقهم بعنقاعنقفيز ... وأردفها الزمانة والخسارا
فلا نهضوا إلى الغرا بكيد ... ولا شدوا لناصرها إزارا
ولا ابتهجوا ولا انتهجوا سبيلا ... يعارض دينا إلا الفرارا
وأولى المسلمين يدا ومجدا ... وعافية وأمطارا غزارا

ولم تكن المرأة الشنقيطية غائبة عن هذه الجهود النضالية، فقد نظمت مريم بنت عبد الجليل أرجوزة ترقبت فيها هزيمة الأعداء داعية عليهم بالويل والثبور، تقول[55]:

يا ربنا بالمصطفى الرسول ... فقو دينا على ديكول

وما به يكيدنا من كيد فلتردن في الكلب بأس الكيد
واخمد شهاب ملكه في الحين يا ربنا بسيد الكونين
وانصر إلهي ملة الإسلام نصرا عزيزا مذهب الظلام
ودولة الكفر امحقنها طرا يا ربنا إلى هلم جرا

ويرفع امحمد بن أحمد يوره صوته عاليا مصرحا بمكر الروم وسعيهم الحثيث إلى إذلال المسلمين، إذ فرضوا عليهم عديد الإتاوات، وحملوهم من أمرهم عسرا، يقول[56]:

يروم الروم إذلال الكرام وإعزاز الأراذل واللئام
ولم أر من أمور الروم أمرا كتجهيز الخيام من الخيام
فكم راموا الطعام بلا ظهور وكم راموا الظهور بلا طعام
وكم راموا نقيصة ذي تمام ويابى الله إلا بالتمام

كما نقرأ أبياتا لسيدي محمد بن عبد الكريم يبرز ضمنها نتائج الاستفتاء الديكولي مصرحا أن الذين اقترعوا لصالح نعم يومئذ قد عموا عن الحق، وابتعدوا عن سواء السبيل، مهنئا في الوقت نفسه أولئك الذين اقترعوا لصالح لا، مؤكدا أنهم نصروا دين المصطفى ﷺ ولم تستملهم المغريات المادية من الدراهم والأنعام يقول[57]:

من أنعموا لوفاق المشركين عموا ولاء مقتصدي سبل الهدى "نعم"
من نعمة ترتجى في طيها نقم أو نقمة تختشى في طيها نعم
في ظاهر الأمر والمأمول باطنه غيب وإن صدقوا في كل ما زعموا
واها لمن نصروا دين الهدى صبرا وما استمالتهم عين ولا نعم

بـ مقاطعة المشاريع الثقافية

يحسن بنا أن نسجل في هذا المقام أن النظام المحظري وجد نفسه في مواجهة مباشرة مع سلطات الاحتلال التي فرضت لغتها بشكل تدريجي، سعت من خلاله إلى طمس الهوية ومحو

الدين وتغييب الفصحى، وكانت السلطات الفرنسية أخطأت حساباتها، فاكتشفت أن القضاء على خصوصية هذا المجتمع لن يتم بين عشية وضحاها فهو شعبي عصي على الانقياد. ولما يحن بعد وقت استئصال ثقافته، لذلك أصدر المستعمر قرارا يسمح بتعليم العربية في المدارس الفرنسية غير أنه قوبل بالممانعة والرفض مما أرغم المستعمر على إعادة النظر في هذا القرار ونسخه بإصدار تعميم يكتفي بالتأكيد على ضرورة إعراب الأسر شفهيا عن رغبتها في تعلم أبنائها العربية. وكان هذا التعميم مجرد إجراء استثنائي غايته تشجيع إقبال الأطفال على المدرسة الفرنسية بتوفير قسط من التعليم التقليدي الذي يتشبث به البيضان[58].

ولما أحكم المستعمر قبضته آخذا في نشر ثقافته، طفق أشياخ المحاظر يهاجمونه، واقفين له بالمرصاد فجردوا أقلامهم دفاعا عن بيضة الدين وحفاظا على لغة القرآن وصيانة للنشإالصغار، وتحصينا للمعتقدات وتنويها بالمحظرة وتنديدا بالمدرسة، واتبعوا في ذلك استراتيجية مزدوجة تعتمد مستويين:

أـ مستوى المنع والتحريم:

وفي إطاره طرح الفقهاء إشكالية جواز تعلم اللغات الأجنبية وحكم دخول الأبناء إلى مدارس الاحتلال الفرنسي وذلك ما أورده محمد بن محمد المصطفى البرتليفي صيغة سؤال منظوم موجه إلى علماء البلاد، يقول[59]:

ملح البلاد ما جواب سائل عن حكم أمر في البلاد نازل
إسلامنا أولادنا الصغارا طوعا إلى مدارس النصارى

واعتبر بعض العلماء هذا الإشكال من باب السؤال عن المعلوم المذموم، وواجهه بعضهم بالصمت خوفا وتقية، وأجاب بعضهم الآخر عنهتلميحا على نحو ورد على لسان الشيخ عبد الله بن داداه ت 1393هـ إذ يقول[60]:

الصمت دون ما يخاف جنه وقال في إضاءة الدجنة
(الحق لا يخفى على ذو عين والله أرجوا عصمة من مين)

وقد صرح محمد الامين بن محمد مولود الموسوي بحكم هذه النازلة وفصل القول في شأنها قائلا[61]:

جـــاز تعلـــم خطـــوط الكفـــرة لرجـــل عنـــد المـــلاح المهـــرة
ومنعـــوا إســـلام نجلـــه الأب لكـــافر يبعثـــه للمكتـــب
بإثمـــه بعـــد إذاتنصـــرا علـى الـذي أعطـاه في مـا اشـتهرا
والخلـــف في تعلـــم الكفـــار خطوطنـــا ذا الخلـــف فيـــه جـــار
ذكـــر ذا العلامـــة الشوشـــاوي بحـــر المعـــارف الخضـــم الـــراوي

كما حرر لمرابط محمد سالم بن ألما فتوى يعجب ضمنها ممن يسلم نجله لتعلم لغات الكفار وديانـاتهم يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيه الكريم لم أفهم أحدا لم يزل يسأل ربه عزّ وجلّ أن يرزقه ولدا صالحا تقر عينه به في حياته تقيا كما فسر به الطبري قوله عزّ وجلّ ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ويرجو أن يجمعه الله معه في الجنة بدعوة الصادق في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ ، فلما من الله به عليه تركه حتى أوقدت الفتن نارها، من كل جهة وأظلم جو السنة، وبدا حاجب البدع العامة وناء الدين بكلكله ذاهبا عرضه لفساد دينه بالتعريض لهذه الفتن، اختيارا بقراءة المدرسة العصرية، وتركه من كتاب الله عزّ وجلّ: الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، رغبة في الحطام الفاني وإيثارا للمراتب الدنيوية، كأن أبواب الرزق قد أغلقت كلها، لا تجارة ولا ماشية، ولا حراثة إلا هذا الباب وحده، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم"[62].

وممن أفتى بحرمة هذه المدارس الشيخ محمدُّ حامد بن آلا الحسني، والمختار بن ابلول الحاجي.

بـ مستوى النبذ والتحذير:

وفي جانبه وقف أشياخ المحاظر لهذه المدارس بالمرصاد وخاصة الشعراء منهم، إذ بسطوا إلى المستعمر أيديهم وألسنتهم بالسوء، محذرين أبناء من المسلمين من تلك المدارس الفرنسية وداعين

إلى نبذها وراء الظهور، ومن النصوص البارزة في هذا السياق قصيدة "بنات الفكر" للشيخ أحمدُّ بن فتى الشقروي التي يقول فيها[63]:

في بالوعود بنات الفكر أو خيسي وحاذري كل تسويف وتلبيس
وعظمي الذكر إن الذكر ذو عظم وقدسي دين طه أي تقديس
لا علم لا دين لا تقوى يؤمل من علم قرين عذاب مولم بيس
ولا مزيج من الأجناس في حجر تبنى لغي وتفسيق وتنجيس
ولا خطوط قرى كالنمل صورها من زوقوها بشكل غير إدريسي
باعوا الحواميم فيها بالحمام كما باعوا الطواسيم فيها بالطواويس
والدِّين بالدَّين والتقوى بكل خنى والعِرض بالعرَض بل والكَيس بالكِيس

وتتنزل في هذا السياق كذلك أبيات أحمد بن محمذن بن المنى الحسني التي يحذر ضمنها من إدخال أبناء المسلمين إلى مدارس المستعمر الفرنسي يقول[64]:

فلا تجعل صبيك في "لكول" لتأمن من لهيب لظى الأكول
وكن عنها إذا نشرت ذووها ليدخلها الدعاية ذا نكول
ولا تقل العدول الشم فيها وفيها الشم أبناء العدول
فليست عصمة الرحمن إلا لمن حاز النبوة كالرسول

ونطالع نصاً آخر لمحمدُّ حامد بن آلا الحسني يستنجد ضمنه من لهم الأمر يجنبوا حيه شر المدرسة الفرنسية المفروضة عليه مؤكدا أنها إضعاف للدين وإفساد للنشء يقول[65]:

مني لمن ليس منه البعد ينسيني وليس عنه جميع الأهل يسليني
تحية كثمار الذكر تشربها روح المكاشف في أيام تلوين
عن موجب أننا كانت لنا بكمُ حماية الدين إن خفنا على الدين

واليـوم أصـبح لا ترضـوا وحـاش لكـم يسـام خسـفاً علـى مـر الأحـايين
فبـادروا الـدين إن الـدين مـذ زمـن مـا لم تلافـوه في حـال مـن الهـون
والـدين مبقـاه أن تـأتي الصـغار بـه وحيـث لا فـإذا لم يبـق مـن ديـن
والناس إن أفسدوا دين الصغار رضوا بـالمحو للـدين مـن كـل الـدواوين
ولـيس يرضـى بمحـو الـدين غـير عـم عـن نهـج الايمـان والإسـلام مفتـون
لمـوتهم عنـدنا خـير مـن ان يلجـوا فيمـا بـه طلبـوا مـن أهـل سـجين
كـم بـين مـوتهم في ديـن ربهـم ورفضـهم عنـدنا للـدين مـن بـون
إن كـان في ذاك للـدنيا سياسـتهم فالـدين أولى بتأسـيس وتحسـين

وفي الختام نشير إلى أن المحاظر الشنقيطية كونت أبناءها تكوينا أكاديميا يجعل منهم صخورا صلبة تتحطم عليها كل محاولات المسخ والتغريب، فكان من هؤلاء رسل حضارة وعلم، كما كان من بينهم أئمة أفذاذ أجهضوا مشاريع المستعمر الثقافية.

وبالجملة فإن هذه المحاظر امتازت بأمور نذكر من بينها:

- الربط الوثيق بين النظرية والتطبيق، بين العلم والعمل، ففي بلاد شنقيط تم التقارب والتقارض بين المحاضر والحضرات، بين الجوامع والجامعات، فتآلفا واصالحا بينهما صلحا.
- تحصين الأبناء منذ النشأة بترسانات عقدية، وأخرى فقهية من شأنها أن تعصم الطفل من التمرد والشرود، وتصرفه عن الميوعة والانحراف، وذلك باعتمادها مقررات موحدة تصدر عن مقرإ الإمام نافع، وعقد الأشعري، ومذهب مالك، ونهج الجنيد في التصوف والسلوك، ومنهج أهل البصرة في النحو والإعراب، وتقاليد أهل الأندلس في الشعر والآداب.

وبذلك فإن القوم حصنوا أبناءهم بثقافة تقليدية عالية جعلتهم يمتلكون إيمانا راسخا هيأهم لأن يبدعوا في نشر المعارف والعلوم، ويسهموا بفعالية في المواجهة والهجوم، بل إنهم أكثر من ذلك يعدون أنفسهم في مرحلة لاحقة للحجز المؤكد ضمن رحلة الإقلاع الحضاري المرتقب.

الهوامش:

1- بلاد شنقيط المنارة والرباط الخليل النحوي ص 53

2- المرجع السابق ص54.

3- المرجع السابق والصفحة.

4- نذكر من ذلك على سبيل المثال الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: لأحمد بن الأمين، بلاد شنقيط المنارة والرباط: الخليل النحوي، والشعر الفصيح في بلاد شنقيط: عبد الله بن ابنحميده، أدب الرحلة في بلاد شنقيط: د. محمذن بن أحمد بن المحبوبي.

5- القاموس مادة حصن

6- المرجع السابق

7- الكهف الآية 84.

8- يوسف الآية 55.

9- مجلة المربطون المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية العدد 4 2008

10 - بلاد شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق، ص 171.

11 - المرجع السابق، ص 172.

12- المرجع السابق، ص 174.

13- مقابلة مع الأستاذ محمد يحيى بن سيد احمد، بتاريخ: 2001/05/20 نواكشوط.

14- الأزهار الشذية، محمد يحيى بن سيد احمد، مخطوط بحوزتي.

15- مجلة الوسيط، العدد 4، 1996 ص 55.

16- عرفالغواني الطيبة الهبوب، في مناقب المختار بن المحبوب: الراجل بن أحمد سالم (مخطوط بحوزتنا).

17- القبس الثاقب في بعض ما لابن ألما من المناقب، بوبا بن ماهي، مخطوط بحوزتنا.

18- مجلة الوسيط، مرجع سابق، ص 55.

19- مقابلة مع عبد الله المختار بن عبد الكريم بتاريخ 2015/04/10.

20- بلاد شنقيط المنارة والرباط ص 39

21- الأزهار الشذية محمد يحي بن سيد أحمد مخطوط بحوزتنا

22- يقصد بن أبي مالك الجوع، وبابنه محمد بن مالك مؤلف الألفية، فالضمير في "ابنه" ضمير استخدام والخلة "الجوع".

23- الأحياء الجامعية بالأحياء الشنقيطية: د. محمذن بن أحمد المحبوبي مقال منشور بمجلة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية العدد 1 2006.

24- في هذه القطعة كلمات حسانية مثل دراعة وهي فصيحة ففي اللسان الدراعة بضم الدال لباس فضفاض، سابغ يغطي الجسد كله، وهي في الحسانية تنطق بفتح الدال، وتاسفرة حسانية وهي جراب جلدي مدور يحمل فيه المسافر متاعه ومزاود جمع مزود وهو وعاء الحبوب، والشطن يطلقون على شدة الانشغال، وكثرة الهموم.

25- النهج الأشعري في المنهج المحظري د. محمذن بن أحمد بن المحبوبي مقال مرقون بحوزتنا. الصفحة 4

26- النهج السديد في شرح كافية المريد لعبد الله محمد بن يوسف السنوسي شرح للمنظومة المسماة الجزائرية تحقيق مصطفى مرزوق، دار الهدى الجزائر عين مليلة 1994هـ ص 31 وما بعدها.

27- مخطوط بحوزتنا

28- فرائد الفوائد في شرح قواعد العقائد، الشيخ محمد اليدالي مخطوط بحوزة الراجل ولد أحمد سالم الأمين العام لزاوية الشيخ محمد اليدالي في نواكشوط.

29 - المجموعة الكبرى، يحيى بن البراء، مرجع سابق، 119/3.

30- ديوان محمد بن الطلبة اليعقوبي مطبعة دار النجاح الجديدة المغرب 2005 ص 29.

31- مخطوط بحوزتنا

32- إشارة إلى فاتحة معلقة امرئ القيس: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ** بسقط اللوى بين الدخول فحومل

33- مخطوط بحوزتنا

34- مخطوط بحوزتنا

35- حياة موريتانيا: الجزء الثقافي: المختار بن حامد، بيت الحكمة، تونس 1990 ص: 188-189.

36- المرجع السابق والصفحة.

37- المرجع السابق ص: 189.

38- المرجع السابق والصفحة.

39- وإذا ترجمنا هذه العبارة إلى الفصحى قلنا : أخط حروفا وأحط خروفا.

40- الحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية. مطبعة الموسوعات بمصر 1319هـ 145/2.

41- المرجع السابق ص 10/1

42- عبد اللطيفالدليشي الخالدي: من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة ط 1 1981م ص 128.

43- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط أحمد بن الأمين الشنقيطي مطبعة الخانجي 1961 ص 2-3 .

44- ددود ولد عبد الله حوليات كلية الآداب بجامعة نواكشوط 1990، ص 26.

45- المرجع السابق والصفحة.

46- المرجع السابق ص 28.

47- المرجع السابق والصفحة

48- التواصل المعرفي بين الوطن الشنقيطي والغرب الإفريقي: د محمذن بن أحمد بن المحبوبي مقال منشور بمجلة التاريخ العربي ص 15.

49- هل تشير بتاريخ الجمل المعمول به يومئذ في تأريخ الحوادث ووفيات الأعيان إلى خمسة وثلاثين والمقصود بها سنة وفاة الرجل 1335هـ، فقد اكتفى بالعددين الأخيرين لأنه سبق وأن أشار في فاتحة منظومته إلى العدد الأولين.

50- بلاد شنقيط المنارة والرباط الخليل النحوي مرجع ساق 281.

51- سيد أحمد بن اسمه: النصح الأتم مخطوطة بحوزة الأستاذ محمد بن زين بن المحبوبي.

52- عمر الفوتي وبلاد شنقيط ص 21

53- سيد عبد الله بن امبوجة : ضالة الأديب تحقيق الدكتور أحمد بن الحسن منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 1996 ص 192- 193.

54- شعر المقاومة الموريتانية، الدكتور يحيى بن محمدن الهاشمي، ص 101.

55- المرجع السابق، ص: 110.

56- المرجع السابق والصفحة.

57- المرجع السابق ص 111.

58- بلاد شنقيط المرجع السابق والصفحة

59- بلاد شنقيط المنارة والرباط مرجع سابق 357

60- المرجع السابق والصفحة

61- المجموعة الكبرى يحي بن البراء المجلد 7 ص 2981. وبلاد شنقيط مرجع سابق ص 358.

62- المجموعة الكبرى مرجع سابق 7، 2982.

63- نفس المرجع ص: 119.

64- المرجع السابق، ص: 311.

65- المرجع السابق، ص 343.